

قال ابن هشام: زُبَيْدٌ: ابن سلمة بن مازن بن مُنْبِه بن صَعْب بن سعد العشيرة بن مَذْحِج، ويقال: زُبَيْدٌ بن مُنْبِه بن صَعْب بن سعد العشيرة، ويقال: زبيد بن صعب بن سعد ومُرَادٌ: يُحَابِر بن مَذْحِج.

السبب الذي من أجله قال عمرو بن معدي كرب هذا الشعر

قال ابن هشام: وحدثني أبو عُبَيْدَةَ قال: كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى سَلْمَانَ بن ربيعة الباهلي (وباهلة: ابن يَغْصَرَ بن سَعْد بن قَيْس بن غَيْلَانَ) وهو بـ «أَرَمِيَّة»، يأمره أن يفضل أصحاب الخيل العِزَابِ على أصحاب الخيل المَقَارِفِ^(١)، في العطاء، فعرض الخَيْلُ، فمر به فرس عمرو بن معدي كرب، فقال له سَلْمَانُ: فَرْسُكَ هذا مُقْرِفٌ، فغضب عمرو فقال: هَجِينُ عَرَفَ هَجِيناً مِثْلَهُ، فَوَتَبَ إليه قَيْس فتوعده^(٢)، فقال عمرو هذا الأبيات.

قال ابن هشام: وهذا الذي عَنِ سَطِيحِ الكَاهِنِ بقوله: «لِيَهْبِطَنَّ أَرْضُكُمْ الْحَبِشُ؛ فَلْيَمْلِكَنَّ مَا بَيْنَ أَيْنِ إِلَى جَرَشِ» والذي عَنِ شَيْقِ الكَاهِنِ بقوله: «لِيَنْزِلَنَّ أَرْضُكُمْ السُّودَانَ؛ فَلْيَغْلِبَنَّ عَلَى كُلِّ طَفَلَةٍ أَلْبَانًا؛ وَلْيَمْلِكَنَّ مَا بَيْنَ أَيْنِ إِلَى نَجْرَانَ».

أبرهة يغلب أرباط على أمر اليمن

قال ابن إسحاق: فأقام أرباط بأرض اليمن سنيين في سلطانه ذلك، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي، حتى تفرقت الحبشة عليهما، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم، ثم ثار أحدهما إلى الآخر، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرباط: إِنَّكَ لَا تَضَعُ بَأْنَ تَلْقَى الْحَبِشَةَ بَعْضُهَا بَعْضَ حَتَّى تَفْنِيهَا شَيْئاً، فَأَبْرُزْ إِلَيَّ وَأَبْرُزْ إِلَيْكَ، فَأَيْنَا أَصَابَ صَاحِبَهُ أَنْصَرَفَ إِلَيْهِ جُنْدُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَرْبَاطُ: أَنْصَفْتُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبْرَهَةَ، وَكَانَ رَجُلًا قَصِيرًا لَحِيمًا، وَكَانَ ذَا دِينَ فِي النُّصْرَانِيَّةِ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ أَرْبَاطُ، وَكَانَ رَجُلًا جَمِيلًا عَظِيمًا طَوِيلًا، وَفِي يَدِهِ حَزْبَةٌ لَهُ، وَخَلَفَ أَبْرَهَةَ غَلَامٌ لَهُ، يُقَالُ لَهُ عَتَوْدَةٌ، يَمْنَعُ ظَهْرَهُ، فَرَفَعَ أَرْبَاطُ الْحَرَبَةَ فَضْرَبَ أَبْرَهَةَ بِرِيدِ يَافُوخِهِ^(٣) فَوَقَعَتِ الْحَرَبَةُ عَلَى جِبْهَةِ أَبْرَهَةَ، فَشَرَمَتْ حَاجِبَهُ^(٤)

(١) المقارِف: جمع مقرف وهو من الخيل الذي أبوه هجين وأمه عتيقة.

(٢) قال الخشني: فتوعده، فتوعده: معناهما جميعاً: هذبه.

(٣) اليافوخ: وسط الرأس.

(٤) فشربت حاجبه: أي شقته. يقال شرمت أنف الرجل إذا شققته.

وَأَنْفَهُ وَعَيْنَهُ وَشَفْتَهُ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَ أَبْرَهَةَ الْأَشْرَمَ، وَحَمَلَ عَتَوْدَةَ عَلَى أَرْيَاطٍ مِنْ خَلْفِ أَبْرَهَةَ فَقَتَلَهُ، وَانصَرَفَ جَنْدُ أَرْيَاطٍ إِلَى أَبْرَهَةَ، فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْحَبِشَةُ بِالْيَمَنِ، وَوَدَى أَبْرَهَةَ أَرْيَاطٌ^(١).

النجاشي يغضب على أبرهة ثم يرضى عنه ويوليه أمر اليمن

فلما بلغ ذلك النجاشي غَضِبَ غَضَباً شَدِيداً، وَقَالَ: عَدَا عَلَى أَمِيرِي فَقَتَلَهُ بِغَيْرِ أَمْرِي، ثُمَّ حَلَفَ لَا يَدْعُ أَبْرَهَةَ حَتَّى يَطَأَ بِلَادَهُ، وَيَجْزُرَ نَاصِيَتَهُ، فَحَلَقَ أَبْرَهَةَ رَأْسَهُ، وَمَلَأَ جَرَاباً مِنْ تَرَابِ الْيَمَنِ، ثُمَّ بَعَثَ بِهِ إِلَى النجاشي، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّمَا كَانَ أَرْيَاطُ (ب/٨) عَبْدُكَ، وَأَنَا عَبْدُكَ، فَاخْتَلَفْنَا فِي أَمْرِكَ، وَكُلُّ طَاعَتِهِ لَكَ، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَقْوَى عَلَى أَمْرِ الْحَبِشَةِ، وَأَضْبَطُ لَهَا، وَأَسْوَسَ مِنْهُ، وَقَدْ حَلَقْتُ رَأْسِي كُلَّهُ حِينَ بَلَغَنِي قَسَمُ الْمَلِكِ، وَبَعَثْتُ إِلَيْهِ بِجَرَابِ تَرَابٍ مِنْ أَرْضِي لِيَضَعَهُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَيَرِّ قَسَمَهُ فِيَّ. فلما انتهى ذلك إلى النجاشي، رضي عنه، وكتب إليه: أَنْ أَثْبُتَ بِأَرْضِ الْيَمَنِ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي، فَأَقَامَ أَبْرَهَةَ بِالْيَمَنِ.

أبرهة يحاول صرف العرب عن الحج إلى مكة

ثم إن أبرهة بنى القليس^(٢) بصنعاء؛ فبنى كنيسة لم يُرَ مثلها في زمانها بشيء من الأرض، ثم كتب إلى النجاشي: إني قد بنيتُ لك، أَيُّهَا الْمَلِكُ، كَنِيْسَةً لَمْ يُبْنَ مِثْلُهَا لِمَلِكٍ كَانَ قَبْلَكَ، وَلَسْتُ بِمُتَّبِعِهِ حَتَّى أَصْرِفَ إِلَيْهَا حَجَّ الْعَرَبِ.

تفسير النسأة والنسيء

فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجلٌ من النسأة، أحد بني فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمه بن مُدْرِكَةَ بن إلياس بن مُضَرَ (والنسأة: الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية، فيحلون الشهر من الأشهر الحرم، ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحِلِّ؛ ويؤخرون ذلك

(١) أودى أبرهة أرياط: يعني أنه أعطى دينه لقومه.

(٢) القليس: هو اسم الكنيسة التي بنى، وهو مشتق من قلس الشيء إذا ارتفع، وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة، وجشمهم فيها أنواعاً من السحر، وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب، من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام - وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ، وكان فيه بقايا من آثار ملكها - فاستعان بذلك على ما أراد في هذه الكنيسة من بهجتها وبهاثها، ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنوس، وكان أراد أن يرفع في بنائها حتى يشرف منها على عدن.

الشهر^(١)؛ ففيه أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبْتُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُغْضَلُ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْيُونَهُمَا عَامًا وَيُكْرِمُونَهُمَا عَامًا لِيُؤَاطِطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧] [٢٢٢].

قال ابن هشام: ليواطئوا: ليوافقوا، والمواطأة: الموافقة؛ تقول العرب: واطأتك على هذا الأمر، أي: وافقتك عليه، والإيطاء في الشعر: الموافقة، وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد وجنس واحد؛ نحو قول العجاج (واسم العجاج: عبد الله بن زُوبَة، أحد بني سعد بن زيد مائة بن تميم بن مُر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزَار) [من الرجز]:

فِي أَثْعَبَانَ الْمَنْجُونِ الْمُرْسَلِ^(٢)

ثم قال [من الرجز]:

مَدَّ الْخَلِيَجِ فِي الْخَلِيَجِ الْمُرْسَلِ^(٣)

وهذان البيتان في أرجوزة له.

أول من نسا الشهور ومن قفا أثره

قال ابن إسحاق: وكان أول من نسا الشهور على العرب: فأحلت منها ما أحل، وحرمت منها ما حرّم؛ القلمس (وهو حذيفة بن عبد بن قنم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة) ثم قام بعده على ذلك ابنه عبادة بن حذيفة ثم قام بعد عبادة قلع بن عبادة، ثم قام بعد قلع أمية بن قلع، ثم قام بعد أمية عوف بن أمية، ثم قام بعد عوف أبو ثمامة جنادة بن عوف، وكان آخرهم، وعليه قام الإسلام.

وكانت العرب - إذا فرغت من حجها - اجتمعت إليه؛ فحرّم الأشهر الحرم الأربعة: رجباً، وذا القعدة، وذا الحجة، والمحرّم، فإذا أراد أن يحل منها شيئاً أحل المحرم فأحلوه، وحرّم مكانه صفر فحرموه؛ ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم، فإذا أرادوا

[٢٣] أخرجه الطبري في «تاريخه» (١٢٤/٢ - ١٣٠) بسنده إلى ابن إسحاق، وسنده ضعيف لجهالة شيخ عبد الله بن أبي بكر.

(١) تأخير شهر إلى شهر، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية يجعلون المحرم مكان صفر، فيؤخرونه إليه. وإنما كان يفعل ذلك المحاويع من كنانة، يُغيروا على بعضهم فيستاقون إبلهم وغنمهم، والفاعل لذلك هو جنازة بن عون. قال الشاعر مفتخراً بذلك [من الوافر]:

أَلَسْنَا النَّاسِيثِينَ عَلَى مَعْدٍ شُهُورَ الْجَلِّ نَجْعَلُهَا حَرَامًا؟

(٢) الأثعيان: الشعب الذي يخرج منه الماء، والمنجون: السانية. أي: يؤخر، فهي اسم.

(٣) الخليج: النهر الصغير يخرج من النهر الكبير. وينظر البيت في الروض الأنف (١/٦٥).

الصَّدْر^(١) قام فيهم، فقال: اللهم إني قد أخللت لهم أحد الصَّفَرَيْنِ الصَّفَرَ الأوَّلَ، وَنَسَأْتُ
الْآخَرَ لِلْعَامِ الْمُقْبِلِ؛ فقال في ذلك عَمِيْرُ بن قَيْسِ جَذَلُ الطَّعَانِ^(٢) أحد بني فِرَاسِ بن غَنَمِ
بن ثعلبة بن مالك بن كِنَانَةَ يفخر بالنسأة على العرب [من الوافر]:

لَقَدْ عَلِمْتُ مَعَدُّ أَنْ قَوِي
كَرَامُ النَّاسِ أَنْ لَهْمِ كِرَامًا
فَأَيُّ النَّاسِ فَاثُونَ بِوَثْرِ؟ (١/٩)
وَأَيُّ النَّاسِ لَمْ نُغْلِكْ لِحَامًا^(٣)؟
أَلَسْنَا النَّاسِيَيْنَ عَلَى مَعَدُّ
شُهُورِ الْحِجْلِ نَجْعَلُهَا حَرَامًا^(٤)؟
قال ابن هشام: أول الأشهر الحرم المحرم.

رجل من كنانة يحدث في القليس

قال ابن إسحاق: فخرج الكناني حتى أتى القليس ففعد فيها [٢٣].

قال ابن هشام: يعني: أخذت فيها.

قال ابن إسحاق: ثم خرج فلحق بأرضه، فأخبر بذلك أبرهة، فقال: من صنع هذا؟
فقيل له: صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي تحج العرب إليه بمكة، لما
سمع قولك: «أضرف إليها حج العرب» غضب فجاء ففعد فيها، أي: أنها ليست لذلك
بأهل، فغضب عند ذلك أبرهة، وحلف ليسيّر إلى البيت حتى يهدمه.

أبرهة يسير ليهدم البيت ومعه الفيل

ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار وخرج معه بالفيل، وسمعت بذلك العرب
فأعظموه، وقطعوا به، ورأوا جهاده حقاً عليهم، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله
الحرام.

[٢٣] أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٩٣/١٠) عن ابن إسحاق به. وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٢/
٣٥٧) عن ابن إسحاق وقد وصف كلامه بأنه حسن مفيد. وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٩٣/١٠)
من طريق يونس عن ابن وهب عن ابن زيد بنحوه. وقد روي مثله ابن عباس أيضاً.
أخرجه ابن مردويه في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٢٧٣/٣).

(١) فإذا أرادوا الصدر: يعني الرجوع من مكة إلى بلادهم. وأصله في الماء، يقال: صدر عن الماء: إذا
ورده ثم رجع عنه.

(٢) جذل الطعان: هو علقمة بن فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة.

(٣) الوثر هنا: طلب الثأر.

(٤) ينظر: لسان العرب (١٦٧/١) (نساء)، وتهذيب اللغة (٨٣/١٣)، وتاج العروس (٤٥٧/١) (نساء)،
ومعجم الشعراء ص (٢٤٣).

ذو نفر من أشراف اليمن يجاهد أبرهة

فخرج إليه رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم - يقال له: ذو نفر - فدعا قومه ومن أجا به من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام، وما يريد من هدمه وإخرا به، فأجا به إلى ذلك من أجا به، ثم عرض له فقاتله، فهزيم ذو نفر وأصحابه، وأخذ له ذو نفر فأتى به أسيراً، فلما أراد قتله قال له ذو نفر: أيها الملك، لا تقتلني؛ فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من قتلي، فتركه من القتل، وحبسه عنده في وثاق، وكان أبرهة رجلاً حليماً، ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نقيل بن حبيب الخثعمي في قبيلي خثعم: شهران، وناهس، ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه أبرهة، وأخذ له نقيل أسيراً، فأتى به، فلما هم بقتله قال له نقيل: أيها الملك، لا تقتلني؛ فإني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلي خثعم: شهران وناهس، بالسمع والطاعة، فخلني سبيله، وخرج به معه يده، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن نقيف، في رجال ثقيف (واسم ثقيف: قسي بن النبيت بن منبه بن منصور بن يقدم بن أفضى بن دغمي بن إباد بن نزار بن معد بن عدنان؛ قال أمية بن أبي الصلت الثقفى [من المنسرح]:

قَوْمِي إِذَا لَوْ أَنَّهُمْ أَمُّ أَوْ لَوْ أَقَامُوا فَتُهَزَّلَ النَّعْمُ^(١)
قَوْمٌ لَهُمْ سَاحَةُ الْعِرَاقِ إِذَا سَارُوا جَمِيعاً وَالْقِطُّ وَالْقَلَمُ^(٢)

وقال أمية بن أبي الصلت أيضاً [من الوافر]:

فَأِمَّا تَسْأَلِي عَنِّي لَبَيْتِي وَعَنْ نَسَبِي أَخْبِرْكَ الْيَقِينَا^(٣)
فَأِنَّا لِللَّبَيْتِ أَبِي قَسِي لِمَنْصُورِ بْنِ يَقْدُمِ الْأَقْدَمِينَا

قال ابن هشام: ثقيف: قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان؛ والبيتان الأولان والآخران في قصيدتين لأمية.

-
- (١) الأمام: القرب، يريد لو أنهم قريب، والنعم: الإبل. وقال بعض اللغويين: النعم كل ماشية أكثرها إبل.
- (٢) القط والقلم: قد فسره ابن هشام.
- (٣) ينظر: ديوانه (ص: ٨٤).
- وينظر: ديوانه ص (٦٠) والروض الأنف (٦٨/١).

قال ابن إسحاق: فقالوا له: أيها الملك، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد (٩/ب) - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة، ونحن نبعث معك من يدلك عليه، فتجاوز عنهم.

اللات

واللات: بيت لهم بالطائف، كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة.

قال ابن هشام: وأنشدني أبو عبيدة النحوي لضرار بن الخطاب الفهري [من المتقارب]:

وَفَرْتُ نَقِيفٌ إِلَى لَاتِهَا بِمُنْقَلَبِ الْخَائِبِ الْخَاسِرِ
وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحاق: فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس^(١)، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك، فرجمت قبره العرب، فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس.

الأسود بن مقصود يغير على مكة

فلما نزل أبرهة المغمس بعث رجلاً من الحبشة - يقال له: الأسود بن مقصود - على خيل له حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال يهامة من قريش وغيرهم، فأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به؛ فتركوا ذلك.

أبرهة يرسل حنطة الحميري إلى أهل مكة

وبعث أبرهة حنطة الحميري إلى مكة، وقال له: سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها، ثم قل له: إن الملك يقول لك: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لي في دمائكم، فإن هو لم يرز حربي فأتني به، فلما دخل حنطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل له: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، فجاءه، فقال له ما أمره به أبرهة، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم - عليه السلام - أو كما قال، فإن يمتعه منه فهو بيته وحرمة، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما

(١) قال أبو عبيد البكري: هو المغمس بكسر الميم وقد حكى فيه الفتح.

عندنا دفع عنه، فقال حنّاطة: فانطلق معي إليه؛ فإنه قد أمرني أن آتية بك، فانطلق معه عبد المطلب ومعه بغضُ بنيه، حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نَفَرٍ - وكان له صديقاً - حتى دخل عليه وهو في مَخْبِئِهِ، فقال له: يا ذا نَفَرٍ، هل عندك من غَنَاءٍ فيما نَزَلَ بنا؟ فقال له ذو نَفَرٍ: وما غَنَاءٌ رَجُلٍ أسير بيدي ملكٍ ينتظر أن يقتله عُذُوًّا أَوْ عَشِيًّا؟ ما عندي غَنَاءٌ في شيء مما نزل بك، إلا أن أنيساً سائس الفيل صديق لي، وسأرسل إليه فأوصيه بك، وأُعظّمُ عليه حَقَّكَ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلّمه بما بدا لك، ويشفع لك عنده بخيرٍ إن قَدَرَ على ذلك، فقال: حسبي، فبعث ذو نَفَرٍ إلى أنيسٍ فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش، وصاحبُ عِيرِ مَكَّةَ، يطعم الناس بالسهل، والوحوش في رءوس الجبال، وقد أصاب له المَلِكُ مائتي بعير، فاستأذن له عليه، وانفعه عنده بما استطعت، فقال: أفعَلُ.

أنيس يستأذن لعبد المطلب على أبرهة

فكلم أنيس أبرهة، فقال له: أيها الملك، هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحبُ عِيرِ مَكَّةَ، وهو يطعم الناس في السهل، والوحوش في رءوس الجبال، فأثذن له عليك فليكلّمك في حاجته، قال: فأذن له أبرهة.

عبد المطلب بين يدي أبرهة

قال: وكان عبد المطلب أَوْسَمَ الناس، وأجَمَلَهُمْ، وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أجزئه وأعظمه، وأكرمه عن أن يُجْلِسَهُ تحته، وكره أن تراه الحبيشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بِسَاطِهِ وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه (١٠/أ): قل له: حاجتك، فقال له ذلك الترجمان، فقال: حاجتي أن يرُدَّ عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي، فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كُنْتُ أعجبني حين رأيتك، ثم قد زهدتُ فيك حين كلمتني، أتكلّمني في مائتي بعير أصبتها لك وترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه لا تكلّمني فيه؟ قال له عبد المطلب: إني أنا ربّ الإبل، وإن للبيت ربّاً يسمّعه، قال: ما كان ليمنع مني، قال: أنت وذاك.

وكان - فيما يزعم بعض أهل العلم - قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حنّاطة: يَغَمَّرُ بِنُ نَفَاثَةَ بن عدي بن الدُّبَلِ بن بكر بن عبد مناة بن كنانة - وهو يومئذ سيد بني بكر - وَخَوِيلِدُ بِنُ واثلة الَهْدَلِيّ - وهو يومئذ سيد هذيل - فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة، على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت، فأبى عليهم، والله أعلم أكان ذلك أم لا، فَرَدَّ أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصاب له.

عبد المطلب يأمر قريشاً بالجلء ويستنصر الله

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة والتَّحْرُزِ^(١) في شَعَفِ الجبال^(٢) والشعاب^(٣)؛ تَحَوُّفاً عليهم من مَعْرَةِ الجيش^(٤)، ثم قام عبد المطلب فأخذ بِحَلْقَةِ بابِ الكعبةِ، وقام معه نَفَرٌ من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب، وهو أخذ بحلقة باب الكعبة [من مجزوء الكامل]:

لَا هُمْ، إِنَّ الْعَبْدَ يَمُـ
لَا يَغْلِبُنَّ صَلِّيبُهُمْ
إِنْ كُنْتِ تَارِكُهُمْ وَقَبِيـ
سَعُ رَحْلَهُ فَأَمْنَعُ جِلَالَكَ^(٥)
وَمِحَالَهُمْ غَدَاً وَمِحَالَكَ^(٦)
لَتَنَّا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ
قال ابن هشام: هذا ما صح له منها.

قال ابن إسحاق: وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيِّ [من الرجز]:

لَا هُمْ أَخْزِرِ الْأَسْوَدَ بَنَ مَقْصُودِ
بَيْنَ حِرَاءٍ وَثَبِيرٍ فَالْبَيْدِ
فَضَمَّهَا إِلَى طَمَاطِمِ سُودِ
الْأَخِذَ الْهَجْمَةَ فِيهَا التَّقْلِيدِ^(٧)
يَخْبِسُهَا وَهِيَ أَوْلَاتُ التَّطْرِيدِ^(٨)
أَخْفِرُهُ يَا رَبِّ وَأَنْتَ مَخْمُودِ^(٩)
قال ابن هشام: هذا ما صحَّ له منها، والطماطم: الأعلاج.

- (١) التحرز: التمتع، ويروى: التحوز، هو أن ينحاز إلى جهة ويتمتع.
- (٢) شَعَفُ الجبال: رؤوسها.
- (٣) والشعاب: المواضع الخفية بين الجبال.
- (٤) مَعْرَةُ الجيش: شدته.
- (٥) الحلال بكسر الحاء جمع حلة وهي جماعة البيوت، والحلال بفتح الحاء خلاف الحرام.
- (٦) المِحَال: القُوَّة والشدة.
- ينظر لسان العرب (محل - غدا - حلل)، تاج العروس (محل - غدا)، روض الأنف (٧٠/١) والبداية والنهاية (٢٥١/٢).
- (٧) الهجمة: القطعة من الإبل قال بعضهم: هي ما بين الخمسين إلى الستين. والتقليد: أي في أعناقها قلاند.
- (٨) حراء: جبل بمكة، وثبير: جبل أيضاً، والبيد: جمع بيداء، وهي الففر.
- (٩) الطماطم: الأعاجم واحدهم طمطماني، وأخفر: معناه أنقض عهده، يقال: أخفرت الرجل، إذا نقضت عهده، وخفرتة إذا أجزته.
- ومن رواه: أخفره بالحاء المهملة، فمعناه: أجعله منحرفاً يريد خائفاً وجلاً.
- وينظر الروض الأنف (٧٠/١)، وسبل الهدى والرشاد (٢١٨/١).

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبد المطلب حَلَفَةَ باب الكعبة، وانطلق هو وَمَنْ معه مِنْ قريش إلى شَعَفِ الجبال، فتحرَّزوا فيها ينتظرون ما أبرههُ فاعلٌ بمكَّة إذا دخلها.

الفيل يمتنع من السفر إلى مكة

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهياً فيله، وعبئ جيشه وكان اسم الفيل محموداً^(١)، وأبرهة مُجمِعٌ لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن، فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نُقَيْلُ بن حَبِيبِ الخثعمي حتَّى قام إلى جنب الفيل، ثم أخذ بأذنه فقال: أُبْرُكُ محمودٌ أو أَرْجِعْ راشداً من حيث جئت؛ فَإِنَّكَ في بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل، وخرج نفيل بن حبيب يشتدُّ حتى أَصْعَدَ في الجبل^(٢)، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا رأسه بالطَّبْرَزِينِ^(٣) ليقوم فأبى، فأدخلوا مَحَاجِنَ^(٤) لهم في مَرَاقِهِ^(٥) فبزغوه^(٦) بها لِيَقُومَ فأبى، فوجَّهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول^(٧)، ووجَّهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجَّهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجَّهوه إلى مكة فبرك^(٨)، فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخَطَاطِيفِ والبَلَسَانِ^(٩)، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجرٌ في منقاره، وحجران (١٠/ب) في رجليه، أمثال الحَمَصِ والعَدَسِ، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا ويسألون عن نُقَيْلِ بن حبيب ليدلَّهم على الطريق إلى اليمن، فقال نُقَيْلٌ - حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته - [من الرجز]:

أَيِّنَ الْمَقَرِّ وَالْإِلَهِ الطَّالِبِ؟ وَالْأَشْرَمَ الْمَغْلُوبَ لَيْسَ الْعَالِبِ^(١٠)

- (١) يقال: إن هذا الاسم كان علماً لهذا الفيل خاصة. وقيل: بل هو علم للجنس كله، كما يقال للأسد: أسامة، ويكنى أبا الحارث، وقال بعضهم: إنما قيل لكل فيل محمود باسم هذا الذي جاء إلى البيت. والفيل على عظم جرمه من أفهم الحيوانات.
- (٢) أصعد في الجبل أي: علا في الجبل.
- (٣) الطَّبْرَزِينُ: آلة معقمة من حديد.
- (٤) المحاجن: جمع محجن، وهي عصا معوجة وقد يجعل في طرفها حديد.
- (٥) في مراحه: يعني في أسفل بطنه.
- (٦) بزغوه: أي شرطوه بالحديد الذي في تلك المحاجن.
- (٧) يهرول: أي يسرع.
- (٨) المراد امتنع من السير لأن الفيل لا يبرك.
- (٩) الخطاطيف والبلسان: ضربان من الطير. فالخطاف: يفتح الخاء وتشديد الطاء: سمكة ببحر سبتة لها جناحان على ظهرها أسودان، تخرج من الماء وتطير في الهواء ثم تعود إلى البحر، قاله أبو حامد الأندلسي.
- (١٠) ينظر البيت في: سبل الهدى والرشاد (١/٢٢١).

قال ابن هشام: قوله «ليس الغالب» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال نفيل أيضاً [من الوافر]:

أَلَا حُيِّيتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا نَعْمَنَاكُمْ مَعَ الْإِضْبَاحِ عَيْنَا
رُدَيْنَا، لَوْ رَأَيْتِ فَلَا تَرَيْنِي لَدَيْ جَنْبِ الْمُحَصَّبِ مَا رَأَيْنَا
إِذَنْ لَعَدَّرْتِنِي وَحَمِدْتَ أَمْرِي وَلَمْ تَأْسَى عَلَيَّ مَا فَاتَ بَيْنَنَا^(١)
حَمِدْتُ اللَّهَ إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْرًا وَخَفْتُ حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا
وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نَفِيلٍ كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْجِبْشَانِ دَيْنَا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل مهلك، على كل منهل^(٢)، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أنملة^(٣) أنملة: كلما سقطت أنملة أتبعها منه مئة تمث^(٤) قبحاً ودماً، حتى قدموا به صنعاء^(٥) وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره^(٦) عن قلبه، فيما يزعمون [٢٤].

قال ابن إسحاق: حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث أن أول ما رؤيت الحصبه والجذري بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رؤي بها مرائر الشجر^(٧) الحزمل والحنظل والعشر^(٨)

[٢٤] أخرجه الطبري في «تاريخه» (١٣٢/٢ - ١٣٧) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١١٥/١ - ١٢١) من طريق محمد بن إسحاق به. وقال البيهقي: كذا قال محمد بن إسحاق بن يسار في شأن عبد المطلب وأبرهة.

- (١) ولم تأسي على ما فات بيننا، أي لم تحزني قال الله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].
- (٢) المنهل: موضع ورود الماء وجمعه مناهل.
- (٣) الأنملة: طرف الإصبع، ويقال: أنملة أيضاً بفتح الميم.
- (٤) تمث: أي تسيل وقيل ترشح.
- (٥) صنعاء: بلد باليمن وهي في موضعين أحدهما باليمن، وهي العظمى. والأخرى قرية بـ «غوطة دمشق». فأما اليمانية فقبل: كان اسمها قديماً أزال، فلما وافتها الجبشة ورأوها حصينة قالوا صنعاء، معناه حصينة؛ فسميت صنعاء بذلك، وهي قصبة اليمن. بنى أبرهة القليس، وأخذ الناس بالحج إليه، وقدم يزيد بن عمرو بن الصعق صنعاء، ورأى أهلها وما فيها من العجائب. فلما انصرف قيل له: كيف رأيت صنعاء؟ فقال [من الكامل]:
وَمَنْ يَرَ صَعَاءَ الْجَنُودِ وَأَهْلَهَا وَجُنُودَ جَمِيرِ قَاطِنِينَ وَجَمِيرًا
يَعْلَمُ بِأَنَّ الْعَيْشَ قُسْمٌ بَيْنَهُمْ حَلَبُوا الصَّفَاءَ فَأَنهَلُوا مَا كَدَرَا
- (٦) انصدع صدره: أي انشق.
- (٧) مرائر الشجر: يعني المر منها وهو جمع أمرار وأمرار جمع مر.
- (٨) العشر: شجر. قال الكندي: أمرخ خيامهم أم عشر.

القرآن يذكر حادث الفيل

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله تعالى محمداً - ﷺ - كان مما يُعَدُّ الله على قُرَيْشٍ من نعمته عليهم وفضله ما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَزِمِيهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَمَغَلَهُمْ كَعَصِفٍ أَمَاكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل: ١، ٥] وقال: ﴿لِيَأْلِفَ قُرَيْشٌ ﴿١﴾ إِمْلَأْنِهِمْ رِجْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا آلِبَيْتٍ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطَعْتَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ حَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش: ١، ٤] أي: لثلاً يغير شيئاً من حالهم التي كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه [٢٦].

قال ابن هشام: الأبابيل: الجماعات، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه، وأما السُّجَيْلُ: فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب: الشديد الصلب؛ قال رؤبة بن العجاج [من الرجز]:

وَمَسَّهُمْ مَا مَسَّ أَصْحَابَ الْفِيلِ تَزِمِيهِمْ حِجَارَةٌ مِّن سِجِّيلِ
وَلَعَبَّتْ طَيْرٌ بِهِمْ أَبَابِيلٌ^(١)

وهذه الأبيات في أرجوزة له، وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة، وإنما هو سِنْجٌ وِجْلٌ، يعني بالسنج: الحَجَرُ، وبالِجْلُ: الطين، يعني: الحجاره من هذين الجنسيتين الحجر والطين، وَالْعَصْفُ: ورق الزرع الذي لم يُعَصَفَ، وواحدته: عَصْفَةٌ [٢٧].

حدثنا ابن هشام، قال: وأخبرني أبو عبيدة النحوي أنه يقال له: العَصَافَةُ وَالْعَصِيفَةُ، وأنشدني لِعَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدِ أَحَدِ بَنِي رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ [من البسيط]:

[٢٥] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣٩/٢) حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق به. وله شاهد عن عكرمة من قوله.

أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٢٣/١) عن عكرمة قوله.

[٢٦] نقله الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢١٧/٢) عن ابن إسحاق.

[٢٧] ينظر «البداية والنهاية» (٢١٧/٢ - ٢١٨).

(١) قال النحويون: واحدها في القياس إِبِيلٌ وإِبُولٌ.

تَسْقِي مَدَانِبَ قَدْ مَالَتْ عَصِيفَتُهَا جُدُورُهَا مِنْ أَيْيِ الْمَاءِ مَطْمُومٍ^(١)

وهذا البيت في قصيدة له، وقال الراجز: [من الراجز]

فَصَيَّرُوا مِثْلَ كَعَصِفٍ مَأْكُولٍ^(٢)

تفسير الإيلاف

قال ابن هشام: ولهذا البيت تفسير في النحو^(٣) (أ/١١) و«إيلاف قريش»: إلفهم

(١) المذانب: جمع مذنب، وهو مسيل الماء إلى الروضة، والعصيفة: ورق الزرع وقد فسره ابن هشام، وجذورها بالجيم المضمومة فهو جمع جذر وهي أصول الشجر هنا، والأئي: السيل، ومطموم: من قولهم طم الماء وطما: إذا علا وارتفع.

وينظر: ديوانه ص (٥٥). ولسان العرب (٢٤٧/٩) (عصف)، (١٢١/٤) (جذر)، وتاج العروس (١٦٢/٢٤) (عصف)، وأساس البلاغة (طمم)، وجمهرة اللغة ص (٨٨٥)، وتاج العروس (١٠/٣٨٠) (جذر).

(٢) لرؤية في ملحق ديوانه ص ١٨١؛ وخزانة الأدب ١٦٨/١٠، ١٧٥، ١٨٤، ١٨٩؛ وشرح التصريح ٢٥٢/١؛ وشرح شواهد المغني ٥٣/١؛ والمقاصد النحوية ٤٠٢/٢؛ ولحميد الأرقط في الدرر ٢/٢٥٠؛ والكتاب ٤٠٨/١؛ وبلا نسبة في أوضح المسالك ٥٢/٢؛ والجنى الداني ص ٩٠؛ وخزانة الأدب ٧٣/٧؛ ورصف المياني ص ٢٠١؛ وسر صناعة الإعراب ص ٢٩٦؛ وشرح الأشموني ١/١٥٨؛ ولسان العرب ٢٤٧/٩ (عصف)؛ ومغني اللبيب ١٨٠/١؛ والمقتضب ١٤١/٤، ٣٥٠؛ وجمع الهوامع ١٥٠/١؛ وتاج العروس ١٦١/٢٤ (عصف).

(٣) زيادة الاسم، والمراد لزيادتها التأكيد. قال ابن جني (في سر الصناعة): وأما قوله:

فَصَيَّرُوا مِثْلَ كَعَصِفٍ مَأْكُولٍ

فلا بدّ من زيادة الكاف، فكانه قال: فصيروا مثل عصف مأكول، فأكد الشبه بزيادة الكاف كما أكد الشبه بزيادة الكاف في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ إلا أنه في الآية أدخل الحرف على الاسم، وهذا سائق، وفي البيت أدخل الاسم على الحرف، فشبه شيئاً بشيء. انتهى.
وأنشده سيبويه على أنها فيه اسم لضرورة الشعر، قال: «إن ناساً من العرب إذا اضطروا في الشعر جعلوها بمنزلة مثل. قال الراجز:

فَصَيَّرُوا مِثْلَ كَعَصِفٍ مَأْكُولٍ

وقال الآخر:

وصالياتٍ كما يؤثفين

قال الأعمش: أدخلوا مثلاً على الكاف إلحاقاً لها بنوعها من الأسماء ضرورة. وجاز الجمع بينهما جوازاً حسناً لاختلاف لفظيهما مع ما قصده من المبالغة في التشبيه. ولو كرر المثل لم يحسن.
وقال صاحب الكشاف عند قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: «ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد، كما كررها من قال: وأنشد البيت وما بعده.

وأورد عليه أن الكاف تفيد توكيد التشبيه لا تأكيد النفي، ونفي المماثلة المهملة أبلغ من نفي المماثلة =

الخروج إلى الشام في تجارتهم، وكانت لهم خَزَجَتَانِ: خَزَجَةٌ في الشتاء، وخَزَجَةٌ في الصيف.

أخبرنا ابن هشام قال: أخبرني أبو زيد الأنصاري أن العرب تقول: أَلَفْتُ الشَّيْءَ إِذَا
وَنَفْتُهُ إِيْلَافًا، في معنى واحد؛ وأنشدني لذي الرُّمَّة [من الطويل]:

مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ الرَّمْلَ أَدْمَاءَ حُرَّةً شِعَاعُ الضُّحَى فِي لَوْنِهَا يَتَوَضَّعُ^(١)

وهذا البيت في قصيدة له، وقال مَطْرُودُ بْنُ كَعْبِ الْخَزَاعِيِّ [من الكامل]:

الْمُنْعِمِينَ إِذَا التُّجُومُ تَغَيَّرَتْ وَالظَّاعِنِينَ لِرِخْلَةِ الْإِيْلَافِ^(٢)

وهذا البيت في أبيات له سأذكرها في موضعها، إن شاء الله تعالى.

والإيلاف أيضاً: أن يكون للإنسان أَلْفٌ من الإبل أو البقر أو الغنم أو غير ذلك؛ يقال: أَلَفْتُ فُلَانًا إِيْلَافًا؛ قال الكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ أَحَدُ بَنِي أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ بْنِ مَدْرَكَةَ بْنِ إِيْلَاسِ بْنِ مِضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدٍ [من المتقارب]:

= المؤكدة، فليست الآية نظيراً للبيت. وأجيب بأنها تفيد تأكيد التشبيه إن سلباً فسلب، وإن إثباتاً فإثبات.

قال ابن هشام (في المغني): وفي الآية قول ثالث، وهو أن الكاف ومثلاً لا زائد منهما. ثم اختلف، فقيل مثل بمعنى الذات، وقيل بمعنى الصفة، وقيل: الكاف اسم مؤكد بمثل، كما عكس ذلك من قال:

فصَيِّرُوا مِثْلَ كَعُضْفٍ مَأْكُولٍ

وأورد عليه الدماميني بأنه يلزم عليه إضافة المؤكد إلى التأكيد، والبصريون لا يعتدون بها لأنها في غاية الندرة، فلا ينبغي تخريج التنزيل عليها.

والشارح المحقق لمَّا حكم بزيادة الكاف في البيت ورد عليه سؤال، وهو ما مجرور مثل؟ فأجاب بجوابين، أولهما لابن جنى (في سر الصناعة)، وثانيهما مأخوذ أيضاً من تقريره، وقد بسط الكلام فيه.

(١) الأدماء من الطباء: السمراء الظهر البيضاء البطن، والأدمة في الإبل: البياض الخالص، والأدمة في الأدميين أن يميل اللون إلى السمرة قليلاً، وشِعَاعُ الضُّحَى: يريق لونه، ويتوضح: يتبين. وينظر: ديوانه ص ١١٩٧؛ ولسان العرب ١٠/٩ (ألف)، ١٢/١٢ (أدم)؛ ومقاييس اللغة ١/١٣١؛ وتهذيب اللغة ١٤/٢١٥، ١٥/٣٧٨؛ والكامل ص ٨٧٢؛ والأغاني ٥/٣٠٣؛ وتاج العروس ٢٣/٣١ (ألف)، (أدم)؛ وبلا نسبة في جمهره اللغة ص ١٠٩١.

(٢) تَغَيَّرَتْ: يعني استحالت عن عادتها من المطر على مذهب العرب في النجوم. ومن رواه: تَغَيَّرَتْ... تغبرن بالباء المنقوطة بواحدة من أسفل فمعناه: قل مطرها من الغبر وهي البقية.

وينظر: لسان العرب (١١٤/٩) (رجف).

بِعَامٍ يَقُولُ لَهُ الْمُؤَلَّفُو نَ: هَذَا الْمُعِيمُ لَنَا الْمُزْجَلُ^(١)
وهذا البيت في قصيدة له.

والإيلاف أيضاً: أن يصير القوم ألفاً، يقال: أَلَفَ الْقَوْمُ إِيْلَافًا؛ قال النُّكَيْتُ بن زَيْدٍ
[من الوافر]:

وَأَلُّ مُزَيْقِيَاءَ غَدَاةً لَأَقْوَا بَنِي سَعْدِ بْنِ ضَبَّةٍ مُؤَلَّفِينَا
وهذا البيت في قصيدة له.

والإيلاف أيضاً: أن يُؤَلَّفَ الشَّيْءُ إِلَى الشَّيْءِ فَيَأْلَفُهُ وَيَلْزِمُهُ، يقال: أَلَفْتُهُ إِيْلَافًا.

والإيلافُ أيضاً: أن تُصَيَّرَ ما دون الألفِ ألفاً، يقال: أَلَفْتُهُ إِيْلَافًا.

ما صار إليه قائد الفيل وسائسه

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر، عن عمرة ابنة عبد الرحمن بن سعد بن زُرَّارَةَ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لقد رأيتُ قَائِدَ الْفَيْلِ وسائسه بمكَّةَ أَعْمَمَيْنِ مُقْعَدَيْنِ يَسْتَطْعِمَانِ النَّاسَ [٢٨].

حادث الفيل في شعر العرب

قال ابن إسحاق: فلما رد الله الحبيشة عن مكَّة، وأصابهم بما أصابهم به من النُّقْمَةِ، أَعْظَمَتِ الْعَرَبُ قَرِيشًا، وقالوا: هم أَهْلُ اللَّهِ، قَاتَلَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكفاهم مُؤَنَّةٌ عَدُوهُمْ، فقالوا

[٢٨] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٢٥/١) من طريق يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق به. وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢١٩/٢) من جهة ابن إسحاق. ووقع عنده سمرة بدل عمرة وهو خطأ والصواب ما أثبتناه.

وذكره أيضاً في «تفسيره» (٥٥٢/٤) من طريق ابن إسحاق وقال: ورواه الواقدي عن عائشة مثله ورواه عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: كانا مقعدين يستطعمان الناس عند أساف ونائلة حيث ينبح المشركون ذبائحهم. اهـ. وأثر عائشة ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣٩٦/٦) وعزاه لابن إسحاق في السيرة والواقدي وأبي نعيم والبيهقي وابن مردويه.

(١) الْمُعِيمُ: هو من العيمة وهو الشوق إلى اللبن. والمرجل: الذي تذهب فيه إبلهم فيمشون على أرجلهم.

ومن رواه: المرجل... المُرْجَلُ. بالحاء المهملة فمعناه يرحلهم عن بلادهم لطلب الخصب، يريد أنه عام شديد.

وينظر: ديوانه (١٥/٢)، ولسان العرب (٤٣٣/١٢) (عيم)، وتهذيب اللغة (٢٥٣/٣)، والمعاني الكبير ص (٤٢٠) (١٢٤٣).

في ذلك أشعاراً يذكرونها فيها ما صنع الله بالحبشة، وما رد عن قُرَيْشٍ من كيدهم.

نسب ابن الزُبَيْرِ وشعره في حادث الفيل

فقال عبد الله بن الزُبَيْرِ بن عَدِيٍّ بن قَيْسِ بن عَدِيٍّ بن سَعْدِ بن سَهْمِ بن عمرو بن هُضَيْنِ بن كَعْبِ بن لُؤَيٍّ بن غالب بن فِهْرِ [من الكامل]:

تَنَكَّلُوا عَن بَطْنِ مَكَّةَ إِنَّهَا كَانَتْ قَدِيمًا لَا يُرَامُ حَرِيمُهَا^(١)
لَمْ تَخْلِقِ الشُّعْرَى لِيَالِي حُرْمَتِ إِذْ لَا عَزِيزَ مِنَ الْأَتَامِ يَرُومُهَا^(٢)
سَائِلُ أَمِيرِ الْجَيْشِ عَنْهَا مَا رَأَى وَلَسَوْفَ يُنْبِي الْجَاهِلِينَ عَلِيمُهَا
سِئُونَ أَلْفًا لَمْ يَثُوبُوا أَرْضَهُمْ بَلْ لَمْ يَعِشْ بَعْدَ الْإِيَابِ سَقِيمُهَا^(٣)
ذَانَتْ بِهَا عَادٌ وَجَزُهُمْ قَبْلَهُمْ وَاللَّهُ مِنْ فَوْقِ الْعِبَادِ يُقِيمُهَا^(٤)

قال ابن إسحاق: يعني ابن الزُبَيْرِ بقوله: «بعد الإياب سقيمها»: أبرهة؛ إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه حتى مات بصنعاء.

نسب أبي قيس ابن الأَسَلْتِ وشعره في الفيل

وقال أبو قيس بن الأَسَلْتِ الأنصاريُّ ثم الحَظْمِيُّ، واسمه: صَيْفِيُّ. قال ابن هشام: أبو قيس صيفيُّ بن الأَسَلْتِ بن جُشَمِ بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مُرَّة^(٥) بن مالك بن الأوس [من المتقارب]:

وَمِنْ صُنْعِهِ يَوْمَ فِيلِ الْحُبُو شِ إِذْ كَلَّمَا بَعَثُوهُ رَزَمَ^(٦)
مَحَاجِنُهُمْ تَحْتَ أَقْرَابِهِ وَقَدْ شَرَّمُوا أَنْفَهُ فَأَنْخَرَمَ^(٧)

(١) يروى مكانه تنكبوا، وقال الخشني: تنكبوا: أي أرجعوا خوفاً منها. تقول: نكبت فلاناً عن الشيء إذا صرفته عنه صرف هيبه وخوف.

(٢) الشُّعْرَى: اسم النجم، وهما شعريان: إحداهما الغميصاء وهي التي في ذراع الأسد، والأخرى التي تتبع الجوزاء، وهي أضواء من الغميصاء.

(٣) لم يثوبوا أرضهم: أي لم يرجعوا إلى أرضهم. يقال: آب إلى كذا أي: رجع إليه. وكان وجه الكلام أن يقول: إلى أرضهم، فحذف حرف الجر وأوصل الفعل.

(٤) دانت بها عاد: أي أطاعت، والدُّن الطاعة. وينظر البداية والنهاية (٢/٢١٩ - ٢٢٠).

(٥) وقع في رواية الخشني: ابن عامرة، وقال الخشني: ابن عامرة بن مرّة. كذا وقع، ويروى ابن عامر وبإثبات التاء وهو الصواب.

(٦) كلما بعثوه رزم: يقال: رزم البعير إذا ثبت بمكانه فلم يبرح، أكثر ما يكون ذلك من الإعياء.

(٧) محاجنهم: جمع محجن وهي عصاً معوجة وقد تقدم تفسيره. وأقرباه: جمع قرب وهو الخصر، =

وَقَدْ جَعَلُوا (١١/ب) سَوَظَهُ مِغْوَلًا إِذَا يَمَّمُوهُ قَفَاهُ كَلِمًا^(١)
 فَوَلَّى وَأَذْبَرَ أَذْرَاجَهُ وَقَدْ بَاءَ بِالظُّلْمِ مَنْ كَانَ تَمًّا^(٢)
 فَأَزْسَلَ مِنْ فَوْقِهِمْ حَاصِبًا فَلَفَّهُمْ مِثْلَ لَفِّ الْقُرْمِ^(٣)
 تَحَضُّضٌ عَلَى الصَّبْرِ أَحْبَارُهُمْ وَقَدْ تَأَجُّوا كَثَوَّاجِ الْعَنَمِ^(٤)

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له، والقصيدة أيضاً تروى لامية بن أبي الصلت.

قال ابن إسحاق: وقال أبو قيس بن الأسلت [من الطويل]:

فَقَوْمُوا فَصَلُّوا رَبُّكُمْ وَتَمَسَّحُوا بِأَرْكَانِ هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ^(٥)
 فَعِنْدَكُمْ مِنْهُ بَلَاءٌ مُصَدِّقٌ عِدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكَتَائِبِ^(٦)
 كَتَيْبَتُهُ بِالسَّهْلِ تَمْشِي وَرِجْلُهُ عَلَى الْقَادِفَاتِ فِي رُءُوسِ الْمَنَاقِبِ^(٧)
 فَلَمَّا أَتَاكُمْ نَضْرُ ذِي الْعَرْشِ رَدَّهُمْ جُنُودَ الْمَلِكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبِ^(٨)
 فَوَلُّوا سِرَاعًا هَارِبِينَ وَلَمْ يَوْبِ إِلَى أَهْلِهِ مَلْجَبِشٍ غَيْرُ عَصَائِبِ^(٩) [٢٩]

[٢٩] ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/٢١٩ - ٢٢٠) من جهة ابن إسحاق.

= وشَرَّمُوا: شَفُّوا، وانخرم: انشَقَّ أيضاً.

- (١) المغول: بالعين المعجمة سكين كبيرة دون المشمل، والمشمّل سيف صغير. وقال بعضهم: المغول هي السكين التي تكون في السوط، ومن رواه: مِغْوَلًا... مِغْوَلًا: بالعين المهملة فهي هذه الفأس التي تنقر بها الحجارة، ويممّوه: قصدوه، وكلم: جرح والكلم: الجرح.
- (٢) أدبر أدراجه: أي رجع من حيث جاء، باء بالظلم: أي رجع مستحقاً به.
- (٣) الحاصب هنا: الحجارة، والقُرْمُ: صغار الغنم.
- (٤) تأجوا: صاحوا. وينظر: ديوانه ص (٥٧)، ولسان العرب (٢/٢١٩) (تأج)، وتاج العروس (٥/٤٤١) (تأج). وينظر البداية والنهاية (٢/٢٢٠).
- (٥) فصلوا ربكم: أي أدعوا ربكم، وقد تكون الصلاة الدعاء، والأخاشب: جبلان بمكة فجمعهما مع ما حولهما وإنما هما أخشابان.
- (٦) الكتائب: جمع كنية وهي العسكر.
- (٧) القادفات: أعالي الجبال البعيدة، والمناقب: جمع منقبة وهي الطريق في رأس الجبل.
- (٨) السافي هنا: الذي غطاه التراب يقال: سفت الرّيح التراب.
- (٩) الحاصب: الذي أصابته الحجارة وهما على معنى السبب وقد يكون السافي والحاصب يراد بهما اسم للفاعل حقيقة.
- (٩) العصائب: الجماعات. وينظر البداية والنهاية (٢/٢٢٠، ٢٢١).

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاري قوله: «على القاذفات في رءوس المناقب» وهذه الأبيات في قصيدة لأبي قيس سأذكرها في موضعها إن شاء الله، وقوله: «غداة أبي يكسوم» يعني: أْبْرَهَةَ؛ كان يُكْنَى أبا يَكُومَ.

شعر طالب بن أبي طالب في حادث الفيل

قال ابن إسحاق: وقال طالب بن أبي طالب بن عبد المطلب [من الطويل]:

أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاحِسٍ وَجَيْشِ أَبِي يَكُومٍ إِذْ مَلَأُوا الشَّعْبَا؟^(١)
فَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ لَأَشْيَاءَ غَيْرُهُ لِأَضْبَحْتُمْ لَا تَمْتَعُونَ لَكُمْ سِرْبَا^(٢)

قال ابن هشام: وهذان البيتان في قصيدة له في يوم بدر سأذكرها في موضعها، إن شاء الله تعالى.

شعر أبي الصلت في حادث الفيل

قال ابن إسحاق: وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي في شأن الفيل، ويذكر الحنيفة دين إبراهيم، عليه السلام.

قال ابن هشام: تُرْوَى لأمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي [من الخفيف]:

إِذْ آيَاتِ رَبَّنَا قَبَاتٌ لَا يُمَارِي فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ^(٣)
خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَكُلُّ مُسْتَسَيِّبٍ حِسَابُهُ مَقْدُورُ
ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارَ رَبُّ رَحِيمٌ بِمَهَاةٍ شُعَاعُهَا مَنْشُورُ^(٤)
حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمُعَمَّسِ حَتَّى ظَلَّ يَخْبُو كَأَنَّهُ مَغْفُورُ^(٥)
لَأَزِمًا حَلَقَةَ الْجِرَانِ كَمَا قَطُّ رَمَى مِنْ صَخْرٍ كَبِيبٍ مَخْدُورُ^(٦)

(١) داحس: اسم فرس مشهور وكانت حرب بسببه والشعب: الطريق بين جبلين.

وينظر: لسان العرب (٤٧٦/١٣) (بره).

(٢) السرب بفتح السين، المال الراعي، والسرب بكسر السين، النفس، ويقال القوم، ومنه أصبح آمناً في سربه أي في نفسه، وقيل في قومه.

(٣) يُماري أي: يشك والمرية: الشك.

وقال آخرون: المرية: التردد في الأمر، وهو أخص من الشك، قاله الراغب: وفيه نظر؛ فإن الشك تردد أيضاً مع تساوي الطرفين.

(٤) بمهاة شعاعها منشور: يعني الشمس، والمهاة من أسمائها.

(٥) المعمس: موضع قرب مكة من طريق الطائف من غمست الشيء في الشيء.

(٦) الجران: باطن حلق البعير، فاستعاره هنا للفيل. وفي كتاب العين: الجران: الصدر. وقطر: أي رمي به على جانبه، والقطر: الجانب، وكبكب: اسم جبل.

حَوْلَهُ مِنْ مُلُوكِ كِنْدَةَ أَبْطَا لَ مَلَاوَيْثُ^(١) فِي الْحُرُوبِ صُقُورُ
خَلْفُوهُ ثُمَّ أَبْدَعُوا^(٢) جَمِيعاً كُلُّهُمْ عَظْمٌ سَاقِهِ مَكْسُورُ
كُلِّ دِينٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا دِينَ الْحَنِيْفَةِ بُورُ^(٣) [٣٠]

قال ابن هشام: وقال الفرزدق - واسمه: هَمَامُ بن غالب بن أحد بن مَجَاشِعِ بن دَارِمِ بن مالك بن حَنْظَلَةَ بن مَالِكِ بن زَيْدِ مَنَاءَ بن تَمِيمٍ - يمدح سُلَيْمَانَ بن عبد الملك بن مَرْوَانَ، وَيَهْجُو الْحَجَّاجَ بن يوسف، ويذكر الفيل وجيشه - [من الطويل]:

فَلَمَّا طَعَى الْحَجَّاجُ حِينَ طَعَى بِهِ غِنَى، قَالَ: إِنِّي مُرْتَقٍ فِي السَّلَامِ
فَكَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ نُوحٍ: سَأَرْتَقِي إِلَى جَبَلٍ مِنْ خَشِيَةِ الْمَاءِ عَاصِمِ
رَمَى اللَّهُ فِي جُثْمَانِهِ مِثْلَ مَا رَمَى عَنِ الْقِبْلَةِ الْبَيْضَاءِ ذَاتِ الْمَحَارِمِ^(٤)
جُنُوداً تَسُوقُ الْفِيلَ حَتَّى أَعَادَهُمْ هَبَاءً وَكَانُوا مُطْرَخِمِي الطَّرَاخِمِ^(٥)
نُصِرَتْ كَنْصَرِ النَّبِيِّ؛ إِذْ سَاقَ فَيْلَهُ إِلَيْهِ عَظِيمُ الْمُشْرِكِينَ الْأَعَاجِمِ
وهذه الأبيات في / (١١٢) قصيدة له.

شعر عبد الله بن قيس الرقيات في حادث الفيل

قال ابن هشام: وقال عَبْدُ اللَّهِ بن قَيْسِ الرُّقِيَّاتِ أَحَدُ بني عامر بن لؤي بن غالب يذكر أبرهة، وهو الأشرم، والفيل [من الخفيف]:

كَادَهُ الْأَشْرَمُ الَّذِي جَاءَ بِالْفِيلِ قَوْلُ لَى وَجَيْشُهُ مَهْزُومُ
وَأَسْتَهَلَّتْ عَلَيْهِمُ الطَّيْرُ بِالْجَنُ دَلٍ حَتَّى كَأَنَّهُ مَرْجُومُ
ذَاكَ مَنْ يَغْرُزُهُ مِنَ النَّاسِ يَرْجِعُ وَهُوَ قَلٌّ مِنَ الْجِيُوشِ دَمِيمِ^(٦)

[٣٠] ينظر «البداية والنهاية» (١٠٢/٢ - ١٠٣).

- (١) ملاويث: أشداء.
- (٢) أبدعوا: تفرقوا.
- (٣) بور: أي هالك من البوار. وهو الهلاك. وينظر ديوانه ص (٤٧) وينظر البداية والنهاية (٢٢٠/٢).
- (٤) الجثمان: الجسم، والقبلة: البيضاء، يعني الكعبة.
- (٥) الهباء: ما يظهر في شعاع الشمس إذا دخلت من موضع ضيق، والمطرخيم: الممتلئ كبراً وغضباً. وينظر ديوانه ص (٦١٣).
- (٦) والفيل: الجيش المنهزم. وينظر ديوانه ص (١٩٢) والبداية والنهاية (٢٢١/٢).

وهذه الأبيات في قصيدة له .

سيف بن ذي يزن الحميري يطالب بملك اليمن ويستنجد قيصر الروم

قال ابن إسحاق: فلما هلك أبرهة مَلَكَ الحبشة ابنُه يَكْسُومُ بن أبرهة، وبه كان يُكْتَنَى، فلما هلك يكسوم بن أبرهة مَلَكَ اليمنَ في الحبشة أخوه مَسْرُوق بن أبرهة، فلما طال البلاء على أهل اليمن خَرَجَ سيف بن ذي يَزَنَ الحميريُّ، وكان يكنى بأبي مُرَّة، حتى قدم على قَيْصَرَ ملك الروم، فشكا إليه ما هُمَ فيه، وسأله أن يخرجهم عنه، ويليهم هو، ويبعث إليهم من شاء من الروم؛ فيكون له ملك اليمن، فلم يُشْكِهِ، فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر، وهو عامل كِسْرَى على الحيرة وما يليها من أرض العراق، فشكا إليه أمر الحبشة، فقال له النعمان: إن لي على كسرى وَفَادَةٌ في كُلِّ عامٍ، فَأَقِمُّ حتى يكون ذلك، ففعل، ثم خرج معه، فأدخله على كِسْرَى، وكان كسرى يجلس في إيوان مجلسه الذي فيه تاجه، وكان تاجه مثل القَنْقَلِ^(١) العظيم - فيما يزعمون - يضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة معلقاً بسلسلة من ذهب في رَأْسِ طاقه في مجلسه ذلك، وكانت عُنُقُهُ لا تحمل تاجه، إنما يُسْتَرُّ عليه بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك، ثم يُدْخِلُ رأسه في تاجه، فإذا اسْتَوَى في مجلسه كُثِفَتْ عنه الثياب، فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك إلا بَرَكَ هيبةً له، فلما دخل عليه سَيْفُ بَنِ ذِي يَزَنَ برك.

قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة أن سيفاً لما دخل عليه طأطأ رأسه، فقال الملك: إن هذا الأحمق يدخل عَلَيَّ من هذا الباب الطويل ثم يطأطأ رأسه، فقبل ذلك لسيف، فقال: إنما فعلت هذا لِهَمِّي، لأنه يضيق عنه كل شيء.

قال ابن إسحاق: ثم قال له: أيها الملك، عَلَبْتَنَا على بلادنا الأغرِبة، فقال له كسرى: أيُّ الأغرِبة: الحبشة، أم السند؟ فقال: بل الحبشة، فجتتك لتنصُرني ويكونَ مُلْكُ بلادك لك، قال: بَعُدَتْ بلادك مع قلة خيرها؛ فلم أكن لأورطَ جيشاً^(٢) من فارس بأرض العرب، لا حاجة لي بذلك، ثم أجازته بعشرة آلاف درهم وافٍ، وكساه كسوة حسنة، فلما قبض ذلك منه سَيْفٌ خرج فجعل ينثر تلك الورقَ للناس، فبلغ ذلك الملك، فقال: إن لهذا لشأناً، ثم بعث إليه، فقال: عَمَدْتُ إلى جِبَاءِ المَلِكِ تنثره للناس!! فقال: وما أصنع بهذا؟! ما جبال أرضي التي جئتُ منها إلا دَهَبٌ وفضة!! يرغبُ فيها، فجمع كسرى

(١) القنقل: المكيال.

(٢) لأورط جيشاً: أي أنشبههم في شر والورطة: الانتشاب في شره.

مَرَازِبَتَهُ^(١) فقال لهم: ماذا تَرَوْنَ في أمر هذا الرجل وما جاء له؟ فقال قائل: أيها الملك، إني في سُجُونِكَ رجلاً قد حبستهم للقتل، فلو أنك بعثتهم معه، فإن يَهْلِكُوا كان ذلك الذي أَرَدْتُ (ب/١٢) بهم، وإن ظَفِرُوا كان مُلْكاً ازددته؛ فبعث معه كسرى من كان في سجونهم، وكانوا ثمانمائة رجل، واستعمل عليهم رجلاً منهم، يقال له: وَهْرَزُ، وكان ذا سِنٍ فيهم، وَأَفْضَلُهُمْ حَسَباً وَبَيْتاً، فخرجوا في ثمان سفائن، فغرقت سفينتان، ووصل إلى ساحل عَدَنَ سَتُّ سفائن فجمع سَيْفٌ إلى وَهْرَزٍ مَنِ استطاع من قومه، وقال له: رَجُلِي مع رجلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً، قال له وَهْرَزُ: أَنْصَفْتُ، وخرج إليه مسروق بن أبرهة مَلِكُ اليمن، وجمع إليه جنده، فأرسل إليهم وَهْرَزُ ابناً له ليقاتلهم فيختبر قتالهم، فقتلَ ابْنُ وَهْرَزٍ، فزاده ذلك حَنَقاً عليهم، فلما تواقف الناس على مَصَافِهِمْ قال وَهْرَزُ: أَرُونِي مَلِكَهُمْ، فقالوا له: أترى رجلاً على الفيل عاقداً تَاجَهُ على رأسه بين عينيه ياقوتة حمراء؟ قال: نعم، قالوا: ذاك مَلِكُهُمْ، فقال: اتركوه، قال: فوقفوا طويلاً، ثم قال: عَلَامٌ هُوَ؟ قالوا: قد تَحَوَّلَ على الفرس، قال: اتركوه، فوقفوا طويلاً، ثم قال: عَلَامٌ هُوَ؟ قالوا: قد تحول على البغلة، قال وَهْرَزُ: بنتُ الحمارِ ذَلٌّ وَذَلٌّ مُلْكُهُ، إني سأرميه: فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا فائْبِتُوا حتى أُوذِنْتُكُمْ؛ فإني قد أخطأت الرجل، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولائُوا به^(٢) فقد أصبَتْ الرجل فاحملوا عليهم، ثم وَتَرَ قوسه، وكانت فيما يزعمون لا يُوتِرُهَا غَيْرُهُ من شدتها، وأمر بحاجبيه فغصِبَا له، ثم رماه فَصَلَّكَ الياقوتة التي بين عينيه فتغلغلتِ الثَّشَابَةُ في رأسه حتى خرجت من قفاه، ونُكِسَ عن دابته، واستدارت الحبشة وَلاَثَتْ به، وَحَمَلَتْ عليهم الفُرْسُ، وانهزموا فقتلوا وهربوا في كل وجه، وأقبل وَهْرَزُ ليدخل صَنْعَاءَ، حتى إذا أتى بابها قال: لا تدخل رأيتي مُنْكَسَةً أبداً، اهدموا الباب، فهدم، ثم دخلها ناصباً رايته، فقال سيف بن ذي يزن الحميريُّ [من مجزوء الوافر]:

يَظُنُّ النَّاسُ بِالْمَلِكِيَّةِ مِنْ أَتُهُمَا قَدْ أَلْتَأَمَا^(٣)
وَمَنْ يَسْمَعُ بِالْأَمِيهِمَا فَإِنَّ الْخَطْبَ قَدْ فُقِمَا^(٤)
قَتَلْنَا الْقَيْلَ مَسْرُوقاً وَرَوَيْنَا الْكُثَيْبَ دَمَا^(٥)

(١) المرازبة: وزراء الفرس، واحدهم: مرزبان.

(٢) لائوا به: أي اجتمعوا حوله.

(٣) قد التأمأ: أي قد اصطلحا واتفقا.

(٤) الخطب: الأمر العظيم، وقم: عظم، ويروي: قم بكسر القاف والصواب فتحها.

(٥) القيل: الملك. والكثيب: كدس الرمل.

وَأَنَّ الْقَيْنِلَ قَيْنِلَ النَّا سِ وَهَرَزَ مُثْسِمَ قَسَمَا
يَذُوقُ مُشْفَعاً حَثَى يُفِيءُ السُّبْيَ وَالنَّعَمَا^(١) [٣١]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبيات له، وأنشدني خلاد بن قرّة السدوسي آخرها بيتاً لأعشى بني قيس بن ثعلبة في قصيدة له؛ وغيره من أهل العلم بالشعر ينكرها له.

قال ابن إسحاق: وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي، قال ابن هشام: وتروى لأمية بن أبي الصلت [من البسيط]:

لِيَطْلُبِ الْوَيْثَرَ أَمْثَالُ ابْنِ ذِي يَزَنِ رَيْمَ فِي الْبَحْرِ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوَالاً^(٢)
يَمَّمُ قَيْصَرَ لَمَّا حَانَ رِخْلَتُهُ قَلَمَ يَجِدُ عِنْدَهُ بَغْضَ الَّذِي سَالَ^(٣)
ثُمَّ أَنْتَنَى نَحْوَ كِسْرَى بَعْدَ عَاشِرَةِ مِنَ السُّنِينَ يُهَيِّنُ التُّفْسَ وَالْمَالاً^(٤)
حَثَى أَتَى بِنَبِي الْأَخْرَارِ يَحْمِلُهُمْ إِنَّكَ عَمْرِي لَقَدْ أَسْرَعْتَ قَلْقَالاً^(٥)
لِلَّهِ دَرُهُمْ مِنْ عَضْبَةِ خَرَجُوا مَا إِنْ أَرَى لَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْثَالاً^(٦)
بَيْضاً مَرَازِبَةً غُلْباً أَسَاوِرَةً أَسْدًا تُرْبِبُ فِي الْغَيْضَاتِ أَشْبَالاً^(٧)
يَزْمُونُ عَنْ شُدْفٍ كَأَنَّهَا عُبْطُ بَزْمَحَرٍ يُعْجَلُ الْمَرْمِيَّ إِعْجَالاً^(٧)

[٣١] ذكره بتمامه المحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/٢٢١ - ٢٢٣). وذكره أيضاً الطبري في «تاريخه» (٢/١٣٩) دون ذكر الشعر.

- (١) المشعشع: الشراب الممزوج بالماء، ويفيء: يغم. والتعم: الإبل. وينظر ديوان الأعشى ص (٣٤٩)، والبداية والنهاية (٢/٢٢٣)، وينظر البيت الأول والثاني في لسان العرب، (جزأ)، (١٢/٥٣١) (لام)، وتهذيب اللغة (١٥/٤٠٠)، وتاج العروس (لام)، وكتاب العين (٥/١٨٢)، (٦/١٦٣)، تهذيب اللغة (٩/٢٠٤)، وتاج العروس (فقم).
- (٢) الوثر: طلب الثأر، ورَّيم في البحر: أي أقام.
- (٣) يَمَّمُ: قصد، قيصر: ملك الروم.
- (٤) كسرى: ملك الفرس. يقال: بفتح الكاف وكسرهما، والكسر أفصح.
- (٥) بنو الأحرار: يعني الفرس. والقلقال: التحرك. والسرعة.
- (٦) غلباً: شداداً. والأساورة: رماة الفرس. والمرازبة: وزراء الفرس. وترب وتربت بالياء والتاء: في معنى واحد بمعنى التربية. والغيضات: جمع غيضة وهي الشجر الملتف. والأشبال: أولاد الأسود فاستعارها لهم.
- (٧) شدف: عظام الأشخاص يعني به القسي. ومن رواه: عن عتل يرمون عن عتل، فالعتل: القسي الفارسية، وغبط: جمع غبيط، وهي عيدان الهودج وأداته، والرَّمَحَر: القصب اليابس يعني قصب الشباب.

أَرْسَلَتْ أَسْدًا عَلَى سُودِ الْكِلَابِ فَقَدَتْ
فَأَشْرَبَ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقًا
وَأَشْرَبَ هَنِيئًا فَقَدْ شَالَتْ نِعَامَتُهُمْ
تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانَ مِنْ لَبَنِ

قال ابن هشام: هذا ما صح له مما روى ابن إسحاق منها، إلا آخرها بيتاً قوله [من البسيط]:

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانَ مِنْ لَبَنِ

فإنه للنابعة الجعدي، واسمه عبد الله بن قيس^(٥) أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن

[٣٢] ينظر «البداية والنهاية» (٢/٢٢٤) و«تاريخ الطبري» (٢/١٤٧ - ١٤٨).

- (١) فلان: منهزمون.
- (٢) غمدان: بلد قلت: غمدان بضم أوله، وسكون ثانيه، وآخره نون: قصر بصنعاء باليمن، كان منزل الملوك، ولم يزل قائماً حتى هدمه عثمان بن عفان. قال ذو وجدن الهمداني [من الوافر]:
وغمدان الذي حدثت عنه بناه مشيئداً في رأس نيق
وفي البكري: غمدان: قصبه صنعاء. قال أبو الصلت:
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في رأس غمدان داراً منك مخللاً
- (٣) شالت نعامتهم: أي هلكوا، يقال: شالت نعامة الرجل إذا مات، والإسبال: إرخاء الثوب، وهنا يريد به الخيلاء والإعجاب.
- (٤) قعبان: تشبة قعب وهو قدح يحلب فيه، وشيياً: مزجاً وينظر ديوانه ص (٦٥) والبداية والنهاية (٢/٢٢٤).
- (٥) (والنابعة الجعدي) كنيته أبو ليلي، وهو كما في الاستيعاب: قيس بن عبد الله. وقيل: حيان بن قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وقيل: اسمه حيان بن قيس بن عبد الله بن وحوح بن عدس بن ربيعة بن جعدة. وإنما قيل له: النابعة؛ لأنه قال الشعر في الجاهلية، ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر، ثم نبغ فيه فقاله؛ فسمي النابعة. وهو أسن من النابعة الذيباني؛ لأن الذيباني كان مع النعمان بن المنذر، وكان النعمان بن المنذر بعد المنذر بن محرق، وقد أدرك النابعة الجعدي المنذر بن محرق ونادمه. ذكر عمر بن شبة أنه عمّر مائة وثمانين سنة، وأنه أنشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه [من المتقارب]:
لبست أناساً فأفئيتهم وأفئيت بعد أناس أناساً
ثلاثة أهليلين أفئيتهم وكان الإله هو المستأسأ
فقال له عمر: كم لبست مع كل أهل؟ قال: ستين سنة.
وقال ابن قتيبة: عمّر الجعدي مائتين وعشرين سنة ومات بـ «أصبهان».

عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن في قصيدة له .

عدي بن زيد يذكر الأحباش وجلاءهم عن اليمن

قال ابن إسحاق: وقال عدي بن زيد الجِبري، وكان أحد بني تميم؛ قال ابن هشام: ثم أحد بني امرئ القيس بن زَيْد مَنَاءَ بن تميم، ويقال: عدي من العِبَادِ من أهل الحيرة [من المنسرح]:

مَا بَعْدَ صَنْعَاءَ كَانَ يَغْمُرُهَا
رَفَعَهَا مَنْ بَنَى لَدَى قَرْعِ الْ
مَخْفُوفَةَ بِالْجِبَالِ دُونَ عُرَى الْ
يَأْتُسُ فِيهَا صَوْتُ الثُّهَامِ إِذَا
سَاقَتْ إِلَيْهِ الْأَسْبَابُ جُنْدَ بَنِي الْ
وَفَوَزَتْ بِالْبِعَالِ تُوَسَّقُ بِأَلْ
حَتَّى رَأَاهَا الْأَقْوَالُ مِنْ طَرْفِ الْ
يَوْمِ يُنْبَادُونَ آلَ بَرْبَرٍ وَالْ
وَكَانَ يَوْمَ بَاقِي الْحَدِيثِ وَرَا
وَبَدَلَ الْفَيْجِ بِالزَّرَافَةِ وَالْ
بَعْدَ بَنِي تُبَّعٍ نَحَاوِرَةَ

وَلَاةٌ مُلْكُ جَزَلٍ مَوَاهِبُهَا^(١)
مُزْنٍ وَتَنْدَى مِسْكَاً مَحَارِبُهَا^(٢)
كَأَيْدٍ مَا تُزْتَقَى عَوَارِبُهَا^(٣)
جَاوَبَهَا بِالْعَشِيِّ قَاصِبُهَا^(٤)
أَحْرَارٍ فُرْسَانُهَا مَوَاكِبُهَا
حَتْفٍ وَتَسْعَى بِهَا تَوَالِبُهَا^(٥)
مَنْقَلٍ مُخْضَرَّةٍ كَتَائِبُهَا^(٦)
يَكْحُسُومَ لَا يُفْلِحَنَّ هَارِبُهَا
لَتْ إِمَّةٌ ثَابِتٌ مَرَاتِبُهَا^(٧)
أَيَّامٌ جُونٌ جَمٌّ عَجَائِبُهَا^(٨)
قَدْ أَطْمَأَنَّتْ بِهَا مَرَازِبُهَا^(٩)

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له، وأنشدني أبو زيد الأنصاري ورواه لي

- (١) صنعاء: بلد باليمن. وولاة ملك: يريد الذين يدبرون أمر الناس ويصلحونه. وجزل: كثير.
 - (٢) القرع: السحاب المتفرق، والمزن: السحاب، والمحارب: الغرف المرتفعة.
 - (٣) العراء: ما يستر الشيء عنك، وغواربها: أعاليها.
 - (٤) الثُّهَامُ: الذكر من البوم. وهو طائر يصيح بالليل. والقاصب: صاحب الزُّمَّارة.
 - (٥) فَوَزَتْ: قطعت المفازة وهي القفر، وتوالبها: جمع تولب، والتولب: ولد الحمار، فجعله هنا للبعال.
 - (٦) الأقوال: هنا الملوك، والمنقل: الطريق المختصرة، والمنقل أيضاً: الأرض التي يكثر فيها النقل وهي الحجارة، والكتائب: العساكر واحداها كتيبة.
 - (٧) الإمة: بكسر الهمزة: النعمة.
 - (٨) الفيج: الذي يسير للسلطان بالكتب على رجليه. والزرافة: الجماعة من الناس، والزرافة أيضاً: حيوان معروف، وخون خائفة، جم: كثير. هكذا عند أبي ذر وفي الأصول بالجيم.
 - (٩) بنو تُبَّعٍ: ملوك اليمن في القديم، ونخاورة: كرام، وقيل: ملوك.
- ينظر: ديوانه (ص: ٧٤)، ولسان العرب (١٩٩/٥) (نخر)، وتهذيب اللغة (٣٤٥/٧).

عن الْمُفَضَّلِ الضَّبِّيِّ قَوْلَهُ «يَوْمَ يَنَادُونَ آلَ بَرْبَرٍ وَالْيَكْسُومَ»؛ وَهَذَا الَّذِي عَنِ سَطِيحٍ بِقَوْلِهِ: «يَلِيهِ إِرْمُ بْنُ ذِي يَزْنَ»؛ يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدَنَ؛ فَلَا يَتْرُكُ أَحَدًا مِنْهُمْ بِالْيَمَنِ» وَالَّذِي عَنِ شِقِّ بِقَوْلِهِ: «غَلَامٌ لَيْسَ بَدَنِي وَلَا مَدَنَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْتِ ذِي يَزْنَ» [٣٣].

ذِكْرُ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ أَمْرُ الْفَرَسِ بِالْيَمَنِ

مدة ملك الحبشة اليمن وعدد ملوكهم

قال ابن إسحاق: فأقام وَهْرَزُ والفَرَسُ باليمن، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء الذين باليمن اليوم، وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أَرْيَاطُ إلى أن قتلت الفرسُ مسروقَ بن أبرهة وأخرجت الحبشة اثنتي عشرة سنة؛ توارث ذلك منهم أربعة: أرياط، ثم أبرهة، ثم يكسوم بن أبرهة، ثم مسروق بن أبرهة.

مآل الفرس في اليمن

قال ابن هشام: ثم مات وَهْرَزُ فَأَمَرَ كِسْرَى ابْنَهُ الْمَرْزُبَانَ بْنَ وَهْرِزَ عَلَى الْيَمَنِ، ثُمَّ مَاتَ الْمَرْزُبَانُ فَأَمَرَ كِسْرَى ابْنَهُ التُّيْنَجَانَ بْنَ الْمَرْزُبَانَ عَلَى الْيَمَنِ، ثُمَّ مَاتَ التُّيْنَجَانُ فَأَمَرَ كِسْرَى ابْنَ التُّيْنَجَانَ عَلَى الْيَمَنِ، ثُمَّ عَزَلَهُ وَأَمَرَ بَادَانَ فَلَمْ يَزَلْ بَادَانُ عَلَيْهَا حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا - ﷺ -

كسرى يعرض باذان على النبي ﷺ

فبلغني عن الزهري أنه قال: كَتَبَ كِسْرَى إِلَى بَادَانَ: إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَسِزَّ إِلَيْهِ فَاسْتَبْتَبَهُ: فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا فَابْعَثْ إِلَيَّ بِرَأْسِهِ، فَبَعَثَ بَادَانُ بِكِتَابٍ كِسْرَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي أَنْ يُقْتَلَ كِسْرَى فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا وَكَذَا» فَلَمَّا أَتَى بَادَانَ الْكِتَابَ تَوَقَّفَ لِيَنْظُرَ، وَقَالَ: إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَسَيَكُونُ مَا قَالَ، فَقَتَلَ اللَّهُ كِسْرَى فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ.

قال ابن هشام: قتل على يدي ابنه شيرويه، وقال خالد بن حِقِّ الشيباني [من الوافر]:

وَكَسْرَى إِذْ تَقَسَّمَهُ بُوهُ بِأَسْيَافٍ كَمَا أَقْتَسِمَ اللَّحَامُ^(١)

[٣٣] ينظر «البداية والنهاية» (٢/٢٢٥).

(١) اللّحم: جمع لحم.